

النظرة اللغوية ونشوء العربية

الأستاذ محمد يوسف نور الدين
بيروت

ان اللغة هي منزل الكائن البشري هيدجر... وان اساس اللغة لا يقوم على ما تحويه من كلمات ، وانما يقوم على تركيبها الخاص وبماكاننا ان نقول : ان العرب في ظل الاستعمار ، لجأوا لحماية هويتهم الى اللغة العربية أو بالحري الى اللغة العربية القديمة . ومن هنا نلمس قوة وصلابة قيم ومزايا العربية التي ناضلت بنجاح ، لا ضد غزوات اللغات الغربية المسلحة بقدره علمية ، على الايصال وحسب ، وانما كذلك ضد اللهجات « المحلية العامية » التي حاول الاستعمار تغذيتها لزرع الفرقة والتجزئة (المستشرق جاك بيرك) .
- والتطور اللغوي ونشوء العربية مفاخرتان في قلب الزمان ، وشوق الانسان اليهما ، الاولى : سفر في التاريخ وغوص الى اعماقه ... ثم ارتفاع مالد الى شواطئه الحاضر ، محمل بلاليه الاعماق . والثانية : ارتقاء الى المستقبل ، وحوم على اماليه... ثم اكتشافه في سويد يعود بالبشرى المقامر . من هنالك كانت نشأة اللغة العربية ، وبهذا السبيل النشوي تسير فلان توقف بعد اليوم .
فاللغة بالاصل وجدان يتراعى بالكلمة ، وهما مرآة ذات وجهين في ايها نظرت تطالعك البهجة . فحاضرنا مشكل ، عديد المشاكل ، وقد زج اسناننا العربي في اعتم المقلقات واخطرها ، ان في لغته ، او في عقيدته او في وجوده .

وعندي ان في هذه المقلقات اللغوية متشابكة تشابكا .
وقد ماش هذا القلق المصري ، مفامر ، يتخطى ، نكتب منذ ثلاثين عاما ، كتاب « مقدمة لدرس لغة العرب » لذا فهذا يعني بان هذه المقدمة هي لاقتضادات معاصرة ، تتائر في كل مكان من ارضنا العربية وتسير الى صعوبات اللغة العربية ومشكلاتها ، او تؤكد سهولتها واطمئنانها حتى لقد تألفت في ذلك مؤلفات جملة . وبعد فاقول : بان اللغة هي وجدان يتراعى بالكلمة ، وهما مرآة ذات وجهين ، في ايها نظرت تطالعك البهجة .
من هنا كانت نشأة العربية ، وبمجرهاها تسير ، فلا تتوقف بعد اليوم .

العربية واللغات الاخرى :

فاذا هاجر السكان او ماتوا ، خلت المنازل والفتقر غناها ، لهم روحها التي بها تحيا ، واذا تبعت العيون وشاهت الوجوه حالت المرايا وتمكر صفاؤها وانسد استمدادها ، فالصور الصطوبمة عليها وجهها الذي تبدو .

اللغة منزل الكائن البشري ومرآة فكره ، يلجأ اليها لتأكيد وجوده وينطلق بها لتحقيق رغباته .
لكن المنازل تفنى بسكانها ، والمرايا تصفو وتجمل بالعيون الناظرة اليها والوجوه المصورة عليها .

اللغات موطن الشعوب ومرايا أشتاتهم .

ادوار اللغات ونشوء العربية

ان تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة ، من المواضيع التي لا تزال أقرب الى الغموض منها الى التبيين . ومحاولة الكشف عليها تبسط رأيا جديدا حول موضوع الغموض ، لم تتوقف عند بحوث المتكلمين وجدلهم بقضية اللغات اهي توقيفية، هكذا وردتنا من الله ؟ أم وضعية ، تعارف عليها الانسان ؟ كما لم تقتنع بتقسيمات ، علماء المقابلة اللغوية في هذا العصر .

والحديث عندنا هو ان اغلب اللغات ان لم تكن جميعها قد مرت في ادوار ثلاثة ، مرتقية منها ام غير مرتقية .

1 - دور المقطع البسيط : وهذا يعني بان المقطع كان واحديا غير مركب مثل (ba) وفي هذا الدور ولد الجدول الهجائي (ا ، ب ، ت ، ث ، ..) الخ .

بمختلف اصواته، بمختلف حركاته العربية، وان كل صوت يدل دلالة بعينها ، فمثلا ، (عو) يدل على الحيوانات الزيرية و (وا) يدل على الصوت المخافت والمتكرر بحركة الفكين .

2 - دور المقطعين : اي دور الجمع بين مقطعين واحدين للدلالة على معنى جديد ، ويعتبر هذا الدور دور محاكاة الطبيعة في مختلف اصواتها ، وفي آخره قصد الانسان الى التاليف من منطقه ، فجمع الانسان السامي بين المقطعين البسيطين (عو) و (وا) للدلالة على ان الحيوان يعوي فتوصل الى (هوا) بمعنى حيوان يصوت او يواصل التصويت .

والى هذا الدور تنظر المعلمات في العربية ، فهي ثنائية الوضع مؤلفة من مقطعين واحدين فقط .

وباستقرار العربية في الثلاثي بدأت تصحح الصوت فيها ، وتستحصل مثل (هوى) بمعنى صوت الحيوان .

3 - دور المقاطع : اي دور الجمع بين المقاطع البسيطة الواحدية وبين المقاطع الثنائية ، لتاليف دلالة مركبة .

وكان هذا الدور بقصد الانسان تلبية لحاجته الماسة اليه . وفيه اتخذت العربية وحدتها الكاملة واستقرت في الثلاثي .

واللغة العربية موطن العرب ومرآة تفكيرهم . فالمقارنة بين طبيعة اللغات ومميزاتها الحيوية من جهة، وبين طبيعة اللغة العربية وخصائصها من جهة ثانية . فالمقارنة الحقيقية بعيدة عن طبيعة اللغة العربية ، وملاساتها في حياة العربي ، وعلى تحديدها وادراكها يتوقف تصحيح الاسلوب التعليمي وتقويم المنهج التربوي ، واقتصاد الجهود المبذولة .

لان هذه الاسباب اثرت على النفس العربية تأثيرا شديدا وطبعها بطابع غريب من الزهد باللغة .

ومن هذا التأثير وهذا الطابع .

1 - طغيان اللغات الاجنبية على حياتنا العامة في كل مرافقها الضرورية كالبيع والشراء ، حتى يكاد العربي يشعر بالقربة في محيطه العربي وبين ذوي قرباه .

2 - الرغبة الثقافية : وهذه الرغبة لا تنحصر للعربي ، ما لم يلم الاما كبيرا بلغة او اكثر من اللغات الاجنبية ، لان الانتاج الفكري والعلمي المعاصر اجنبي بكل نواحيه .

واننا في حاجة ضرورية لان نعد عقلا عربيا امدادا ثقافيا كاملا ولا يتسنى له ذلك الا بالاقبال على اللغات الاجنبية ، فالمستحضرات الكيماوية ، وقطع الفيار للصناعات الثقيلة وغيرها والادوية كلها لا يوجد لها مفردات مترجمة في العربية ، فاضطر المثقف العربي لان يلم باكثر من لغة ليتسنى له ان يسير في تيسار التطور والرقي العالمي والعلمي والادبي .

3 - الامتياز : بمعنى ان متعلم اللغات الاجنبية المتحدث بها ، شخص ممتاز او مميز ، لان هذه اللغات بالنظر العام ، عنوان الحضارة في الحياة والشخصية وعنوان الترف العلمي ، والاجتماعي ، والمقلي من كل الوجوه .

وليس في جميع اسباب الشكوى ما يرجع الى طبيعة اللغة وجوهرها وانما هي اسباب مرضية ، غير موضوعية ، خامرت اجيالنا ، فلم تلم بلفتها الام واستصعبتها، ومالت الى اللغات الاجنبية واستسهلتها الا ان في نظري بان اللغة العربية هي اسهل اللغات ، ان في قانون نحوها ، وصرفها ، او املاؤها او اشتقاقها بل اكثرها آلية اذا صح التعبير .

كل هذا لا يعني خلو العربية من الغوضى .

وإذا كان الإنسان الفطري لم يتوصل إلى الجدول الهجائي بترتيبه الحالي ، فإنا توصل إليه كمجموعة لكلمات اللغة الفطرية .

وإذا كان الجدول لا يضمن الدراسات نكل كلمة من كلمات اللغة على وجه التحقيق ، فإنه يمكننا الإطمئنان إلى انفصال اللغة عنه ثنائية ثلثية .

كما يمكن الاسترواح بترتيبها الحالي هي ثمانية وعشرون حرفاً .



ان الإنسان القديم جمع بين مقطعين واحدتين للدلالة على معنى جديد .

لقد شرع الإنسان يسمى وراء مقاصده في هذا الدور ، وأخذ يحاكي الطبيعة ومن هذه المحاكاة التي تعتبر مصدره اللغوي الوحيد ترك ثروة لغوية هي أكثر المقاطع الثنائية .

ومن طبيعة الإنسان معاني الجدول الهجائي يوقفنا على مستوى الاخيلة الواضحة ، ويساعدنا على تحقيق التطور الوصفي وتاريخ الاستقاق .

واننا نورد هنا مقالين يوضحان ان الثنائي من وضع هذا الدور ، هما عبي ، والمعلات .

المثال الاول : عبي، تحلل إلى حروفها ع : وتدل على الحيوان الزليري ، ب وتدل على البيت .

ا - ابدال الهمزة : وهذه ظاهرة قليلة من باحثي الاستقاق العربي قد تنبهوا لها ، مع ان لها خطورتها في بناء الكلم وتحرير معانيها ، فمثلاً : اخي اصلها وحي :

ب - الحذف والتضعيف : وهذه أيضاً ظاهرة لغوية لم ينتبهوا إليها وهي بلا ريب عظيمة الأهمية من حيث وجوه المعرفة .

وخلاصة القول : في ان الإنسان حاكي الطبيعة بمختلف أصواتها ، وقصد في آخرها إلى التأليف من منطقتي بالمعنى الذي أوضحناه ، للتأليف والجمع بين مقطعين احاديين وترك ثروة هي أكثر المقاطع الثنائية .

وختام تمهيدنا هذا لادوار اللغات ونشوء العربية لقد مرت شتى ضروب اللغات بأدوار ثلاثة : المقطع البسيط والمقطعين والمقاطع . وأنها لتؤلف جميعها الدور اللغوي البدائي .

ولقد حبيبت لغات واميتت لغات، وهناك لغات اخذت بالحياة ، وهذه الأخيرة وحدها الفت المهسد اللغوي الثاني عهد اللغات المرتقية .

وتقسم هذه المرتقية باعتبار مرونتها للتصريف والاشتقاق إلى متصرفة وغير متصرفة .

دور المقطع البسيط :

1 - الإنسان الفطري: ان لبحث الإنسان الفطري، علما قائما بذاته هو علم الإنسان « الانثروبولوجيا » وما يهمني من ذلك الإنسان الفطري في موضوعي هو البحث عن أصواته السليقية ، التي استقرت في هايتها على صورة وكانت لهجة ، ولا تعتبر الأصوات لهجة ما لم تستقر .

أما إذا أخذنا في تحليل كلمات العربية على معاني الجدول خرجنا بمقارنات يمكن عليها فرض التطور، واليك بعض الأمثلة من الكلمات التالية : شجر ، جبل ، جمل ، سمك .

المثال الاول : شجر ، شجرة وتحل إلى حروفها، ش : معناه سن وهو ينظر إلى مطلق النبات ، ج ومعناه جبل ، وهو ينظر إلى مطلق الارتفاع، ر : ومعناه رأس .

أما المعنى المؤلف : نبات مرتفع له رأس ، وهو تماما معنى الشجر وانظر إلى تخصيص اللغوي الشجر بما له ساق .

المثال الثاني : جبل وتحل إلى حروفها ، ج : ومعناه ينظر إلى الارتفاع ب ، ومعناه بيت ، ل ومعناه الملاصقة والمساس .

والمعنى المؤلف : بيت مرتفع ملاصق ، وكأنه للسحاب أو للارض وهو تصور صحيح عن الجبل .

ومن هنا لا نظمن إلى القول ، بأن لغات العالم تفرمت من مصدر واحد ، وإنما هي وليدة أسباب مكانية اجتماعية ، وانفرادية كالعادات وليدة الطبايع والظروف .

ومن المعقول بأن المنطق اللغوي قد امتد الى آخر العصر البرونزي الذي تم فيه للانسان وضع الحجر الاساسي في بناء الحضارة .

لقد بقيت لغة الانسان في المنطق اللغوي على غير تناسب ولا نظام ، اجتهد في اصطناع كلماتها لابرار ما في نفسه ولنقل ما يريد الى من يشاركه الحياة ويجاور المسكن .

وتتألف من :

1 - المفردات ذات المقطع الواحد .. أصبحت فيما بعد الجدول الهجائي .

ب - المفردات ذات المقطعين ، وهي العملات في دور النضج اللغوي .

ج - وأخيرا ذات المقاطع ... وهي في النهاية ذات وحدة في العربية منها تصدر كلمات العربية واليها تنسب .



ولقد اخترمت الكتابة في هذا العهد ، ما يثبت لنا التقدم الاجتماعي ، وعلى العقيلة اللغوية الراقية ، ويشير الى سمو هذا القسم من الوجة اللغوية .

المهم ان اللغة لم تعد اتكالية ابدا بمعنى ان الانسان لم يعد يتكلم في تكثير اللغة وتسمية الاشياء ، على المصادفات الطبيعية والملابس الظرفية بل اصبح يلجا الى التاليف والتركيب عند الحاجة وحسب مقتضيات .

ولقد بقيت اللغة فوضوية لسببين :

1 - لم يهتد اللغويون الى ترتيب جدول الهجاء على وجهه .

2 - وكذلك لم يهتد اللغويون الى قانون الزيادة ومكانها ، فكان يريد على الثاني هكذا من غير تقرير لموضع الزيادة .

وهناك تباين بين المنطق اللغوي ، والاكتثار من اللغة ويرجع هذا الى فرقتين اساسيتين هما: التركيب والتقصيد .

1 - فالثلاثي في المنطق اللغوي كان عبارة عن تركيب مؤلف من ثلاث كلمات ، فلم يكن مفردا في مفهومه وان تعين بحكم دلالاته وموضوعه والثلاثي في

ورائنا كذلك حالة لا بد منها في نشوء اللغات ، واليه يرجع الثاني بما في ذلك العملات ، راسا على وجه الاطراد لان واحدا من هذه الحروف ليس اصلا .



لقد كان يقصد الانسان تلبية لحاجته ، اذ كان يجمع بين المقاطع البسيطة الواحدة وبين المقاطع الثنائية لتاليف دلالات مركبة . ان العربية اتخذت وحدتها في هذا الدور واستقرت في الثلاثي .

ان هذا الدور هو عصر الحجر المهدب الذي تم فيه للانسان كثير من الرقي ، واننا نستعرض ادوار النشوء في بناء هيكل اللغة على سنة تدريجية غير اخذة سبيلا من الطفرة او قائمة على اسس المفاجآت المحضنة .

ولقد كان الانسان بحاجة في هذا الدور الى الخطاب المبسوط ، بحكم عوامل الرقي والحضارة والتطور ، فلقد وجه العناية الكاملة الى اصلاح المنطق .

ولقد قسم هذا الدور الى حلقات ، تعاقبت على اعتبار الثلاثي ، ولم تتغير في اساسها ، وانما اختلفت في نسب جعلت بينها تفاوتنا ارتقائيا فقط ...

- وفي بحث هذه الحلقات ، حصرنا النظر في التطبيق على العربية ، ان تطبيقها فيما عدا العربية يحتاج الى مجهود اكبر ، وعرض اوسع .

1 - يتكون المنطق اللغوي والتعبير عن حاجته .

ب - تكثير اللغة وخوض الزيادة ...

ج - النضج اللغوي عند العرب كما يظهر في قاعدة القلب ، ومستلزماتها ونتائجها .

د - المعاني التركيبية ، وطريقة الغربي في وضع الرباعي من الثلاثي ...

هـ - المنطق اللغوي ... والتعبير عن الحاجة .

لقد بدل الانسان ما في اسمه في سبيل ان يخضع ما حوله من اجل معاشه ، واعمل الحيلة لتكوين منطقته بين مطالب العيش الجديدة فصارت له لغة على مقياس من تفكيره وحوادثه ...

الاكثار اللغوي كان مباراة من مؤلف حرفي ، لا دلالة لحروفه على الانفراد في اللغة الابية .

2 - ان الثلاثي في تكثير اللغة دخله القصد في ان يكون ثلاثيا بينما كان ثلاثيا بضرورة تشخيص الموضوع للواضع .



بعد الاطلاع على ما سبق نعتقد بأنه تم النضج اللغوي عند العرب فلم تعد اللغة في حاجة الى شيء مما كانت تحتاجه أولا ، بل خضعت خضوعا عاما لا اصول في الوضع ، اعتبرها اللغويون (الفيلولوجيون) اسما وارفع ما عرفت امة من الامم ، لقد رتب العربي الجدول الهجائي في طور الاكثار من اللغة ، فلقد كان لمرتب الجنوب على ترتيب خاص يكتبون بها .

ولقد اجتهد في تنظيم قاعدة الوضع حتى استخلص قاعدة موزونة جدا ، وهكذا رتب الجدول الهجائي واصبح ضروريا ان نتكلم في تحديد معاني حروف الهجاء بما تسمح به النصوص المحفوظة .

ومعقول العربي ، في ترتيب الجدول الهجائي ، وفي اعتماده القاعدة بكل فروعها ، وفي ثورته اللغوية التي اخضع فيها لقاعدة جميع مواد اللغة ، هذا معقول وحده يكفل بقاء العربية في مواجهة المستقبل ...

ومن هنا كانت ثورة اللغويين على الانحرافات المضلة ، والاهوام العربية التي تشد معقول العربي حسب العربية للفرد العربي .

ولقد عبر العربي عن معقوله اللغوي الراقى بقاعدة على مواد اللغة .

1 - تصحيح المعاجم

ب - الوقوف على الدخيل من الاصيل .

ج - ان ناخذ الوضع الجديد على مقتضاة لنسد نقص اللغة ونكفي حاجتها .

معاني الحروف العربية

بما تقدم من شرح ، ولر العربي لفته كل عناصر البقاء ، فاعتمد الجدول الهجائي ، بمعانيه الممومية ، نواة اللغة .

واعتمد كذلك خصائصه الحيوية ، ووحدة الكلمة حتى لقد اخضع جميع القوانين اللغوية وكرسها خدمة للغة .

ولم تعد لغة العربي في حاجة لغير مكملات تتحكم باللغة وتنفي عنها التريث البطيء ، وتدفع بها الى المد غير المنجزر .

ولو بقي العربي في جزيرته العربية لبلغت اللغة العربية اوجها في الازدهار والتطور وتنظيم تلك المكملات ، ولما بقيت على فوضى الموازين ، والجموع والمصادر والافعال .

فتوقف تطور هذه اللغة بداعي الخروج من جزيرته ، وتخلل العرب في بقاع متباعدة من الارض .

حتى لقد صادف الفرد العربي من لغته المعاني التركيبية ما لم تؤديه له في النضج اللغوي ، ولقد لاحظ ان معاني هذه اللغة لا تبني سوى على الثلاثي ، كما لاحظ ايضا ان هنالك زيادة في المعنى تفتقر الى ما يؤديها لتتم دلالتها .

من هنا اثبتت حاجة الفرد العربي الى الزيادة ولقد توصل العربي في هذه الحقبة من الزمن الى التعرف على زيادات تصريفية ، جعل موضعها في اول الثلاثي ولم تولد الافعال الرباعية والخماسية ، وكانت هذه الزيادة ، قد استنهدت في وقتها لان العربي كان بحاجة اليها ، وعليه فالزيادات على اقسام :

1 - زيادة البناء : وتتكون هذه الزيادة من الثلاثي ولوضعها الوسط .

2 - زيادة الاشتقاق ، وتتكون من الثلاثي لكي يحصل العربي على الرباعي وما اليه وموضوع الاخر .

3 - زيادة التصريف : من قبل كنفعل واستفعل ، وموضعها الاول غالبا لعدم الالتباس .

4 - اما زيادة الاسناد : كغربت ليست من اقسام الزيادة على معنى التأليف ، بل ان الكلمة تصبح مركبة ، لانها سواء كانت علامة او ضميرا فانها حاجة غريبة عن الكلمة ، وقد تصاف لجمال الاسلوب .

هذه هي الطريقة الفضلى التي كان على العربي ان يسير اليها منذ حقبة من الزمن بعيدة .

لاستحصال الرباعي والخماسي .

التطور في اللهجة

لهجة منزلة كبرى وذات أهمية من اللغة ، ولا تقل شأنًا من الالفاظ ، لأنها قد تكون وحدها فارقا على خطر . ويجدر بنا أن نقول أن تعرضنا للهجة العربية بحد ذاتها ، فهي متعددة الوجوه ، ومتعددة الاجناس ويتكلمها خلق كثير فعلىنا إذن أن نتناول هذا البحث من هذه الزاوية من خلال الوجهة العامة وليس تعرضي لكل قبيلة أو لكل جنس على حدة بل بصورة شاملة عامة .

1 - التطور الصوتي :

أن الباحثين والمدققين عن اللهجات أخذوا بقايا التطور المستمر في قبيلة ما علما عليها وحدها ، ولم يراعوا اعتبارات اللهجة الواحدة .

فهذا هو الخطأ بعينه لانه لا يصح من كل وجوهه، وبالتالي لان ما كانوا يسمونه باختلاف اللغات ، ليس له هذا المعنى حقيقة ، بل انها بقايا تركها التطور الذي لم ينته من تكامله .

ومن الامثلة التي خفيت على اللغويين ما يلي :

يعقيد : وهو المسل الذي يعقد على النار وكذلك يعصيد وهي بقلة مرة لها لبن لرج .

النفويون لا يترددون فيما ذهب اليه صاحب المصباح وغيره من الكتب اللغوية، مع اعتبار أن الكلمات السابقة هي ابنية اسمية اشتق عليها توسمه .

ولكن القول بأن العربي مر بهذه الكلمات في عهد من المهود اللغوية السابقة كافعال فقط ، فقد كان العربي يتخذ من الفعل وصفا ينطبق بالحركة حرفا ، فلا عجيبة أن يكون العربي قد وصف بهذه الافعال ، مثل يعقيد وينبوع .

وهكذا تطورت اللغة وظلت هنا دالة على مسمياتها مع الاحتفاظ بكونها الاثير الذي ينظر الى وجوده السابق ، وبرهان ذلك يتلخص في :

1 - بقاء اللهجة المتدرة على لسان بعض القبائل العربية فمثلا لقد ورد في الجاهلية على لسان الشاعر الاسود عنتره كلمة ينباع في قوله :

ينباع من ذفري غضوب جصرة
زيافة مثل الفنيق المكدم

وأن هذه الطريقة هي نظرية ليس للمرء أن يشك بها ومستوجبا الاخذ بها ، ولا بأس من ايراد امثلة تؤكدها ، كالقرطاس ، والعنقاش ، وختلم .

فالقرطاس : ذكرت المعارف الاسلامية معتمدة تحقيقات : ان القرطاس هو ورق البردي وانتهى الى انها دخيلة .

ولو عدنا الى ما قبل هذه الحقبة لوجدنا بأن القرطاس يرجع الى قرط ، والقرط هو ورق الكواث، ولما كان الورق من البردي على نسق ، ايسط ، اضافوا اليه السين لكي يبرهن ويدل دلالة على اهم مميزات الورق النباتي المذكور .

ف ، قرط + س = ورق البردي .

فالقرط مجموما الى السين يدل على السعة والبسطة ويعطي المعنى التحليلي للقرطاس .

- وعنقاش : ومعناه المتجول في القرى وهو كذلك بحسب القاعدة يرجع الى الثلاثي .

عنى : ومعناه شدة المسير ، والشين تدل على التفشي وعدم النظام ، وعليه فالدلالة التامة له السير عنى غير نظام ، وهو المقصود من التجول في القرى .

- وختلم : ويرجع الى ختل في الاصل وهي موضوعة لاخذ الشيء خفية .

وهكذا كان فأخذ العربي من الاولين هذه القواعد لقاعدة العربي هذه نوائد أهمها :

1 - وضع حد للتعريب .

2 - وضع قاعدة صحيحة لابعاث اللغة .

3 - افاة غير محدودة في الوضع للمستقبل ، وسد حاجة اللغة من بين هذا المد العلمي الزاخر بالمصطلحات .

4 - تصحيح المعاجم من الاقدمين ، الذين كان اعتقادهم بأن الرباعي وما اليه تولد بالتركيب والاختزال ، فظن بأن بعثر من بعث - اثير - ومثل شعثب من شق - حطب -

وقد يظن بأن هذا الاخذ الجديد الذي تدل العربية عليه ، من اقرار الموازين بدلالات قارة ، واقرار الاقفال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع كل هذا لتصل العربية الى المستوى الذي كانت ستصل اليه لو بقيت في محيطها بدون براح .

والانتهاء بمتحرك هو الضمة الممدودة او الواو ،
ويبدو اليه احتفاظ عمرو بالواو في املايته. ومن
بديهي القول ان معرفة العرب للكتابة قديم جدا وان
كان تطورها بطيئا ، وهكذا نرى بان عمرو ، كلمة زيدت
عليها الواو التي لا فائدة منها ولا غناء ، اما القول بانها
للتفريق بين عمرو و عمر فامر هو اقرب الى التخريف
منه الى التطور ، وانطلاقا من كلمة عمرو نرى :

ا - النصوص الحميرية : مثل اخت امهواى
اخت امه .

ب - ما فى لسان بعض القبائل من تحريك
ضمائر الجمع للغائب من مثل عليه اليهم وهو معروف
فى الكلام على قراءات القرآن الكريم .

ج - احتفظت العربية بالوقف بالروم فى بعض
المواقف ، والروم مختلطة تميل الى الضم .

د - لقد زادت العرب النون فى فعل فعلوا
واصبحت فعلون ، لتمكين المنطق والتخلص من
الصوتية .

هـ - بناء فعلين ، يرجع بأمره الى بناء فعل
فعلون فهذا من أفعال الاتباع وهو قانون شائع فى اللغة

الدورة اللغوية الطويلة

ان الظن فى هذا القسم هو انه من المؤكد انها
محركة الاخر ولم تتحرر الكلمة من التقاء الساكنين
ومعنى هذا ان اسبابا من البناء اللغوي القائم ، جعل
اللغة تنهيا للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل ، وعليه
فقد بقيت الحركة تنطق حرفا فى كثير من مواضع
الكلمة اى لم تمد تنطق كذلك باطراد ، ومن ثم كان
وجه للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل وعليه فقد
بقيت الحركة تنطق حرفا فى كثير من مواضع الكلمة لم
تمد تنطق كذلك باطراد ومن ثم كان وجه للتحليل .

ولمى امتدادنا وبحثنا ان اللغة دارت دورتها وكانت
طويلة جدا ومثمرة كثيرا وخلمت فيه من حركة الاخر،
ولكنها تخبطت فى تجارب كثيرة حتى خرجت العربية
نهائيا بتجربة الاعراب المدهشة .

- ولقد حاول الاستاذ ابراهيم مصطفى صاحب
كتاب (احياء النحو) دوس هذه الظاهرة على وجه
تعليمي نشوئي ولو درس العربية للنهج التطوري الذي
ناخذ اللغة للوصول الى حلول حقيقية وغير رايه فى
اشياء كثيرة .

ووردت عند غيره ينبوع ، فهنا يبرز التباين فى
اللهجة ، بينما يرجعها اللغويون فى المعاجم القديمة الى
بابي طرب يطرب ، وحقد يحقد ، نبع ينبع .

2 - ويذكر بعض اللغويون كابن الاثير والانباري
وابن منظور فى لسان العرب وغيره من اللغويين وكتبهم،
كلمة نعم بانها نصت بنعم كما كذلك وردت فى نعام .

اما النتيجة فواضحة بان هذه الكلمات هي افعال
مضارعة الرية بقيت فى اللغة على سبيل التحفة الالرية.

ورى بعض اللغويين كابن فارس والفيروزابادي
وتاج العروس بان العربية مرت بمهدين :

ا - العهد الصوتي : ويمتاز بقيام اللغة العربية
على الحروف ، ومحافظتها على اسلوب القرآن الكريم
بالفاظ متفاوتة حركة وصرفا . مع الترداف المصنوي
- مثل شيمال وشمال .

ب - العهد اللفظي : ومن اهم مبتكراته قيام
العربية على الحركات وبثورها ، ولكن تحررا موضعيا
من الصوتية وبتركتها قوانين تمد اللغة للتحرر عنى
الاطلاق .

ونقدر ان نقول بان فى هذا العهد بلغت اللغة
الشوط النهائي من ترقى اللهجة .

ب - صوتية اللغة :

يجب ان يمتاز هذا القسم من الفصل الثانى
تطور اللغة العربية بامور هامة جدا وهي :

- على المتكلم ان ينطق كل حركة حرفا ، فهذا
مما يدلنا انه كان هنالك كلمات فى اللغات العربية
ولدت بمهود صوتية كما فى المثل المتقدم سابقا ،
شيمال وشمال ، ومما لا شك فيه بانها وردت كذلك
بمهود كانت اكثر صوتية ، حيث كانت مركبة من حروف
ذات اصول لمغلولات بعضها .

- يفرض على المتكلم ان يبدأ كلامه بحركة ساكنة،
وان ينهى حديثه بمتحرك ، نظنه الواو كما فى الاشورية
والبابلية فالابتداء بالساكن ، وهذا مما يدلنا على ان
اللغة مرت فى عهد اكثر سكون ونطقت فيه ساكنة
الاول مثل : اجفيل ، واخريط ، امشوشب ، وقد
اضيفت الهمزة للتوصل الى النطق بالساكن من مثل :
امرؤ امرأة ابن الخ ...

ونخلص الى القول بان الفرد العربي كان همه ان يميث التطور الصوتي ولا يقصد الى التكاثر والتزايد، ولكن وجدت هناك اسباب عملت على حفظ تلك الاثرية في اللغة، مما ساعدنا على استنتاج ما نستنتج لتصحيح ما اخطأ به اللغويون ومن اقرار العربية في الوجة التي قصد اليها العربي، والتي تستطيع بها وحدها ان تكون لغة للمستقبل بين اشياؤه الباقية .

الاسباب التي حفظت الاثرية

من الاسباب التي ساهمت في حفظ الاثرية في اللغة العربية هي :

- 1 - التشخيص العلمي : ومن ذلك يربوع ويسروع .
- 2 - القصد الكنائي : ومن ذلك باجوج وماجوج .
- 3 - حداثة الارتفاع : ومن ذلك انطور وطومار .
- 4 - الكتابة : وذلك لاحتفاظ الفرد في الاملاء بواو عمرو الزائدة مثلا .

1 - التشخيص العلمي : وقولنا هذا يعتمد على ان نتخذ اللفظ مفهوما شخصيا وان يحتفظ بمدلول معين ، فمن الممقول جدا الا يتاثر اللفظ بالتطورات التي تعرض لاصله الا نادرا بعد التشخيص العلمي لانه فارقه في المعنى . ومن الاثرية في هذا القسم من حفظ الاثرية من الافعال المضارعة .

- 1 - يسروع : اسم دويبه تكون في الرمل .
- 2 - يربوع : اسم دويبه اكبر من الفارة .
- 3 - يعسوب : اسم دويبه من النحل شبيهة بالجرادة .
- 4 - يقطين : نبات معروف .

ب - القصد الكنائي : القصد الكنائي يشابه التشخيص العلمي ، ولكن ذلك في المعاني ، فدلالة الكلمة او التركيب ليس الا المعنى المثلى فقط ومن الاثرية المحفوظة في القصد الكنائي ياوجوج وماجوج .

اما القصد بكلمة ياوجوج ما يلزم عن معناها الكنائي من التاجيح المتدافع ، والتاجيح في كل شيء . اما لغويا فياوجوج فعل مضارع من ثلاثي اججج .

اما ماجوج فهو اسم مفعول منه ، وهو التاجيح للمتدافع واظن انه كله يستعمل لعهد القرآن كمثل في هذا المعنى .

ومما ساعد على حفظ مثل هذه الكلمات ووردها في النصوص القرآنية . فبقي لها امكنة واسعة رحبة .

وكذلك ورد في الاحاديث النبوية الشريفة على ما اظن جوع يرقوع ، وفرس يعبوب ، وطريق ينكوب وارض يخضور ، واعتمدنا في تفسير حركات الافعال في ابوابها الستة فالابواب الستة المشهورة هي :

نصر ينصر ، ضرب يضرب ، فتح يفتح ، علم يعلم ، كرم يكرم ، ورت يرت .

- الكتابة : ومن اهم الاسباب التي حفظت ، وعملت على بقاء الاثرية في اللغة هي الكتابة اطلاقا ومن ذلك قولنا في اسم عمرو والواو الزائدة فلولا الكتابة لما وجدت الواو في آخر الاسم .

وان النتائج في هذا البحث تتجلى في تاريخ التفريغ اللغوي وضبط عين الثلاثي ، وانطباع العربية بطابع الاعراب لهذا البحث اهميته الكبرى وهو تاريخ التفريغ اللغوي لانه الاداة الوحيدة للتاريخ والتشعب المدبر .

ان التطور في اللهجة يؤكد البرهان على اهمية الثلاثي ، كما يؤكد كذلك بان اللغة العربية انفصلت بمد تمخضات وبلوغات طويلة واستوت في اكمل ما تكون لغة بما لها من مميزات فانها في الميسرات المبينة في الاعراب والبنية لادق لغة في ملابس اللفظ للمعنى ملاسبة حقيقية .

ومن ذلك ان المثني شاهدا قاطعا لا يقبل التردد في غيرها ، فاننا حين نرى المذهب البياني في اللغات قاطبة يعبر عن الاثنين بسبيل الجمع ندهش كثيرا وعلى وجه غير محدود للدقة العربية ، التي تبالغ في اعتباره ونجد غيره شيئا كئارا يشهد بدقة العربية كلفة ، ويشهد بمقدار التسامي اللغوي في طبيعة الفرد العربي .

التطور في اللغة

كان بإمكاننا ان نلج هذا الفصل نظرا لاهميته في طليعة تعرضنا للبحث عن اللغة العربية ولكننا تركناه الى الفصل الثالث ، بعد تعرضنا لخرابين أساسيين من

ولهذا الامتناع عن الزيادة وعزو ذلك الى القرآن الكريم ، انه نظم حواشي العربية ، وأخصمها لقانون بياني ثابت وأمات ما هو متراوح الفوص فيها، وانعشها بحيوية أخرى جديدة .

على ان ابن اسحاق لم يفهم السر الصحيح لهذا الانجرار وقد صرحت به لغير مرة من المقدمة. وهو توزع العرب في الانحاء ، وتناول المدرسة اللغوية العربية على وجه خرج جدا من النطاق اللغوي .

فالقرآن هو الذي اعتمد لغة قریش في افصح محتوياته ، والذي أمات منها القسم الغوضوي وقد رجع بعض اللغويين الى امتداد تجديد هذه الغوضى .

وخلاصة القول بان التطور عمل عمله في مادة اللغة كما عمل في صورتها ، وكان من ابرز ما قام به من اعمال منتجة في حروف الاعلال .

— من ابرز القوانين التي وقفت على تاريخ ماهية اللغة هي :

ا — ان لقانون منع الانتقال من الكسر الى الضم اقدم من تمام تحلل اللغة من الصوتية الى اللغوية .

ب — كان لاببدال حرف اللين الهمزة تخلصا من الصوتية ، ولابد ضرورة وهو متأخر عن قانون منع الانتقال .

ج — ان قانون الاتباع بالحركة متأخر جدا .

ان لكل قبيلة نطقا خاصا ولهجة خاصة بها، وكلمات تختلف عن كلمات الاخرى ، فمنهن من نطقت بـ نثدلان، وكذلك اخرى تقول زئبر ، فهذه الكلمات متخلفة تمام التخلف عن الارتقاء والتطور اللغوي واللهجي . اذن فالاستناد الى معرفة التطور من خلال قبيلة واحدة او من خلال قبائل خطأ ، فيجب على من نصبوا انفسهم لهذه الدراسات ان يجعلوا معلوماتهم صحيحة ويقارنوها الى محيطات متطورة ومتحضرة وليس الى محيط خاص بجماعة معينة بل ان يعرفوا المحيط المتطور ثقافيا ، واجتماعيا ، ولغويا ويلجوا بابه لمعرفة مدى تطور لغته ، وان يقارنوا هذا التطور مع تطورات اخرى من جهات اخرى لمعرفة النسبة التي سوف تكون نتائج حاسمة بالنسبة لهذه الدراسات .

ج — تطور الافعال :

لقد سبق لنا ان بينا قاعدة الافعال في الاثريات المحفوظة من بقايا اللغة وبسطنا معقول العربي في

ضروب دراستنا ، وما يتبعهما من تشعبات وافضان يستندان الاهمية التي امتروضتنا في الفصلين السابقين فمن ذلك ادوار اللغات ونشوء العربية ثم التطور في اللهجة وقد طبقنا كل شيء على العربية ، وقد عيننا باللهجة شكل اللغة المتطور من الصوتي الى اللفظي ، وهنا نصوغ الفكرة .

ا — نظرية التطور :

لقد مرت اللغة العربية كغيرها من اللغات في ثلاثة ادوار كما افصحنا سابقا ، دور المقطع ، والمقطعين ، والمقاطع وهذا يعني انها جابهت تطورا من الاحادي الذي كان مجموعة حروف الجدول الهجائي التي تمثل لغة الانسان الاول المعرض في القدم .

ومنها صارت الى الثاني والثالثي حيث استقرت فيه ونشطت في حلقات خمس ومن هذه النشاطات كان الرباعي والخماسي والسداسي .

فاللغة كانت كما اسلفنا بتطورها صوتية ، ثم لفظية لكنها في تطورها الصوتي احتفظت بعدة وجوه صوتية بسبب مفادرة العربي لجزيروته من جهة وبسبب الذين تناولوا اللغة ، وكان طابع مدرستهم الجمع فقط، ثم الوقوف في وجه كل اجتهاد يرمي الى تحرير اللغة من الاثريات القلقة في الافعال والموازين ، والجموع الا ان خلاصة قولنا ان اللغة العربية تطورت لغة ولهجة ، ولكنها توقفت قبل بلوغ ما كان يقصده العربي منها .

ب — اللغويون الاولون :

للمعنى التطور من قبل اللغويين الاولين صفة ذات اهمية ، ولرايهم الخاص بهم ، كذلك اهمية نعلق عليها املا كبيرا اذ ان الذين يبذون اراءهم بتطور اللغة ليسوا ممن نبتهم الحياة ، بل من اولئك الذين عرفوا كيف يبذون رايهم وفي هذه الراء زبدة دسمة نحن بحاجة ماسة اليها والى معرفتها والاطلاع عليها .

قال ابن اسحاق: وان الزيادة في اللغة العربية امتنع العرب منها بعد بمت الرسول العربي (ص) لاجل القرآن . وان معنى هذه العبارة صريح وواضح ، وهي ان العربية كانت خاضعة للتغيير المستمر ، فاللغة بين الزيادة والتنقيح على سنة غير متخلفة ، وهذا هو الغرض المقصود من التطور .

نسوية الاختلاف بين ابواب الماضي والمضارع ، ونحن نتناول الان الفكرة بشكل اوسع من خلال الكلمات واليك بعض النماذج :

1 - دراك ، هيهات ، وى واننا نقول بان دراك اسم فعل امر بمعنى ادرك وهيهات اسم فعل ماضي بمعنى بعد ، ووى بمعنى اصعب بكذا

وان كلمة دراك وامثالها بقايا تمثل الفعل الامري قبل تهذيبه على الشكل الذي وصل الينا .

2 - براع ، ينبوع وهذان يعبران عن صورة الافعال فى العهد الصوتي .

- براع : فعل ماضي متخلف ...

- ينبوع : فعل مضارع متخلف ... ايضا ، ولكنهما ليسا على خلاف مع الوضع الذي استقر عليه الفعلان مما يدل على ان ترتيب الافعال على وضع مهذب سبق تمام التحلل الصوتية ، ولكن ما زالت الخلافات بين الافعال الماضية والمضارعة ، وقلنا بان هذه الافعال هي افعال اثرية ، والواقع ان اختلافها كان له مفهوم فى طبع العرب الاقدمين ، لان شكلية الحروف كان لها تأثير فى تمام له مفهوم فى طبع العرب الاقدمين لان هذه الشكلية كان لها تأثير فى المعنى وانماه .

لقد ادركت اللغة العربية عهد الاصلاح والتهذيب ، وحاولت التخفص من الاختلافات المذكورة التي لم تعد لها اى معنى فى الوضع الاخير .

3 - وهل ويوهل : ومن معانيه الوهم والخطا والضعف والخوف .

- واول وهلة : اول شيء والمثال يلي ما قدمنا ويظهر فيه عمل التطور بنقله الى باب : فعل ، يفعل وامتبارها اصلية فيه ، وعلى قلة وشاذة فى باب فعل يفعل ، وهذا المثال متخلف لوجهين :

1 - التصحيح مع موجب الاعلال .

ب - الدوران بين بابي طرب يطرب ، وحسب يحسب ، ويظهر من هذا ان العربي فكر بتوحيد الابواب قبل تمام عمل الاعلام ولذا تقدم المثال الاخير والارقي

4 - وثق يثق : ومصدر هذا الفعل هو الثقة ، والوثوق ، والموثق ، ومعناه الائتمان ، وهذا المثال ارقى من سابقه لانه جاء من باب موات مع الاعلال الذي

هو تمام العمل الارتقائي ، كما تشهد مباراة الفيومي فى كتابه المصباح ، وتصديق كل ما رايناه وجئنا به .

وخلاصة القول فى هذا الموضوع اننا نستنتج مما تقدم :

- ان الصور التي عليها الفعل على اختلافه مهذبة سبقت بصور اميتت وآخرها ارتقاء الامر ، ثم استقر فى انه يتبع المضارع .

- ان تهذيب الافعال سبق التحلل من الصوتية .

- ان توحيد ابواب الافعال متأخر عن التحلل من الصوتية .

- الاعلال متأخر فى الطبع العربي .

تطور اسم الفاعل

وجدنا مما تقدم فى بحثنا عن تطور اللهجة ان صيغ اسم الفاعل ، فاعل ، فعيل ، فعل ، تنوي كلها فى اصل الدلالة ، وانها ارتقاءات عن فاعيل المات قصد ببعضها التنوع وبالمعنى الاخر الامانة .

ونرى بان الفرد العربي كان قصده طرد الفاعل فى كل ثلاثي مجرد بدون نظر الى الاسباب ، واذن لا حاجة لاختلاف اللغويين فى ابحاثهم حول صيغة (ايها القياسي) وحول ابحاثهم فى اسم الفاعل من الثلاثي المجرد .

فصيغ اسم الفاعل تطورات تفيد افادة واحدة ، وقد قصد العربي ان يعرض بها على كل المواد اللغوية ، فحال بينه وبين قصده ما ذكرناه من مفادرة الجزيرة ، وعمل اللغويين المحافظ ، فاكتفى بما وصل اليه وامر الاكتفاء معروف عند اللغويين الاولين فقد قالوا فى المصدر من الفعل ان العرب استغنوا فى بعضه باسماء وقعت موقع المصادر كما فى وصاة مكان توصية وزكاة فاضاف تزكية وصلاة مكان تصلية .

تطور الاعلال :

الاعلال وسيلة لبقة وسامية ، والاعلال يفيد المعنى الطبيعي ، كما فى طال : فانه يفيد الطول بنمو طبيعي ، واما التصحيح مع موجب الاعلال ليفيد المعنى بتكلف او باضطراب ، كما فى طول فانه يفيد التكلف فى الطول .

الارتقاء فى تطور الاعلال فيعود الى الامثال :

واضحة في منطقتي القبائل المختلفة ، ومنطق القبيلة الواحدة وبالتالي نقف موقفا مخالفا من علماء البيان فهم يبتدعون لها وجوها من التعليل ، كاختلاف القبيلة ، تداخل اللغات ، والفرائر والشذوذ والغلط ، وغير ذلك من حيل المتحيل .

ان التطور الذي قلنا عنه في المفردات يصدق عمله في الاسلوب والبيان على شتى اوضاعهما ، فكتاب (المجاز) لمحمد بن المثنى المعروف بابي عبدة يعالج التطورات المختلفة في هذه الناحية التي سماها مجازات اي اساليب ، والحق انها ابدما ما تكون عن معنى التسمية ، وما هي عند البحث الا تطورات وبقايا من مجازات انقرضت .

2 - أثر التطور في النظم والشعر :

حتى تطور الاوزان الشعرية لم تفلت من الانعزال والتشذيب ، ولكي يتسنى للباحث ان يربط بين بحور الشعر العربي القديم ، فهناك ابهر اميتت ، ان الشعر انتهى الى نتيجة خطيرة وهي ان البيان العربي ابتداء نظما وتطور كذلك اخذ نحو التحلل ، وكان من آخر البحور المرتقية ، الخفيف وما اليه ، والرجز المرصع الذي منه تحللت الاسجاع ويبدل على التحام الترصيع الشعري والسجع عند الشعراء وعليه فيكون السجع بين الشعر والنثر .

فمن هنا انبثقت القصيدة النثرية ، وهي التي تأخذ طريقا نحو الارتقاء في عالم التصاليد .

اثر القرآن الكريم في التطور :

ان القرآن تناول العربية ولما تستقر ، بحيث كان سببا قويا في تهيئة الاستقرار على اكمل وجوهه :

ويوجد في النص القرآني شتى التطورات النثرية ، حتى يكاد يحتك النثرية ، حتى يكاد يحتك النثر بالنظم في بعض السور « انا اعطيناك الكوثر » ، وهذا يعني بان القرآن يجمع بين مختلف السور البيانية ويأتي بها على نحو معجز جدا ثم يسوق اسلوبا جديدا لا ينتسب الى بيان العربية بحال ، وربما كان في اجتماع هذه السور الشتى من الاساليب في القرآن على مسحة متسامية ، سر اعجاز القرآن الصحيح .

وان الروح القرآنية والاسلوب القرآني ، فقولنا في ذلك ان روح البيان فيه مختلفة واجدر بنا ان ندرس

1 - هوية وتعني صوت الدنب ، وتمتبر اقدم الامثلة .

2 - الاتمام : منها ما هو مكسور ومنها ما هو مضموم ، فالاتمام ليس حركة كانت في اللسان العربي كما توهم اللغوي عبد القاهر الجرجاني ، في كتاب الايضاح ، ويظهر ان الاتمام اعلال بين ايدي التطور ، فمثلا نطق اول مرة شوق .

- ثم اعلت باتباع الواو للحركة فليل : شيق وفي ذلك اتمام فالاتمام يعني نطق الضمة قبل الياء مع خفة المتكلم .

- وخلاصة قولنا في تطور الاملال هو : ان الممل كان على التصحيح اقدم عهد اللغة .

- ان قانون الاتباع هو قانون الاملال الصحيح .

- ان الاتمام الى الضم اعلال اولي وليس بحركة زائدة اميتت .

- ان الاتباع يميل في الاملال على التناسب ولو لادنى ملاسة .

والخلاصة ان التطور اللغوي يرجع الى شعبتين اساسيتين : يتفرع عنهما كل شيء يتعلق بالعربية مادة وصورة ، وهاتان الشعبتان هما :

1 - اثر التطور في الاسلوب البياني .

2 - اثر التطور في الشعر .

1 - فالتطور الاول وهو الاسلوب والبيان - فهو معين تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة : فالدراسة العميقة في البيان والاسلوب البياني قادنا الى :

1 - كان الجدول الهجائي بحركاته لفة للانسان القديم .

ب - نشأت العربية نشوا تطوريا من الجدول ، فالاحادي اصل الثنائي وهذا اصل الثلاثي .

ج - تطورت العربية اللفظية من اصلها الصوتي على ادوار متعاقبة .

وعلى هذه النتيجة ومراقبتها نتائج النظرية : فالبيان ، يساعدنا على مراقبة مقدار المسافات التي عملها التطور في اللغة على مختلف الانماء سواء في الاشتقاق ، والاهراب والموازين والاملال والاعمال والمصادر وتطلعنا على تلك المسافات التي بقيت

بيان القرآن لانه الوثيقة السامية في البيان والاسلوب العربي حتى نطبع به على الدوام فأشد الكتاب طرفا منه أشدهم تعلقا به على الحقيقة ، لان البيان غدى القرآن والغاية، ان القرآن امتاز الفوضى في اللغة وأجبرها للانصياع لقانون بياني ثابت ، ودل فيما دل على تطورها ، كما أوضحنا في الفصول الاولى لنظرية التطور اللغوي :

ونستخلص من استعراض التطور في اللغة وجوه التخلف اللغوي الذي رافقنا خلال دراستنا .

فالعربية لم تزل على فوضى من الافعال والمصادر والجموع والموازن ، ولن تستقر على ما كان ما يريده العربي من لفته ، ولن تطمئن بين أشياء المستقبل الباقية .

الا بازالة ما بقي متشبها بها من علائق الفوضى بسبب ظروف العربي ومغادرته لجزيرته .

وبسبب اللغويين وتشددهم في السماع وفي ما يكتم العربية ، ويمنعها من الانفتاح على الحياة اللغوية المصرية والمستقبلية .

التنقيح في اللغة العربية

في الفصول السابقة التي أوضحنا فيها تطور اللغات ونشوء العربية في المقدمة ، رأينا عمل التطور في العربية خلال هذه الفصول ، ان العربية تجاوزت حدا بعيدا دون أن تنتهي ، ولكنها مع ذلك أخذت بالاستقرار شيئا فشيئا واستمدت في سيرها ما تدعو اليه الحاجة من موازين دخلتها الزيادة الصرفية كافتعل وما اليه ، ولقد يكون الإخذ الجديد الذي تدل عليه العربية ، من اقرار الموازين بدلالات ثابتة، وأقرار الافعال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع وهذا يعني الوصول بالعربية الى المستوى الذي كادت تبلغه لو بقيت في محيطها بدون براح .

ولكن الامر الذي يضع اللغة في مواضع قلقه وبصورة تكاد تجعل منها لغتين :

1 - لغة القرآن الكريم :

ب - اللغة التي تبدأ بالقرن العشرين .

وقد تفاوتت كلتا اللغتين تفاوتا يكون لا أقل في أساليبه ومفرداته من اللاتينية والفرنسية هذا هو موقف اللغويين التقليدي وهذا هو رأيهم في

امر اللغة العربية ، وهذا الامر المتناقض ، وتهمهم على اللغة العربية تهجما يجيزه هذا الدرغ الذي يأخذون الناس به ، وأعني به جمع لغات الجزيرة ، وبكلمة أدق تعبيرا لهجات الجزيرة ، والمداخلة بينها ، مداخلة مطلقة ، بغير تمييز ولا تنبيه ، بالاستنتاج منها مجتمعة قواعد اللغة في حين أنهم شهدوا بالاختلاف فيما بينها بصورة مؤكدة ، وهذا الموقف التقليدي لم يلج بأبه المحدثون .

- ولا تكون على مقربة اذا قلنا بان موقف اللغويين المتفاوت بأسباب أهمها ، عدم تفاهم لغويي البصرة والكوفة واتخاذ الخلاف بينهم صفة تعصبية صرفا .

فنقد تشددوا بمنطق الاستماع وهدم الحفظ اخذا على مذاهب الخصوم ، ان هذا الاغراق الشديد فيه هو من جراء التعصب القائم والتحامل البالغ ... وهذا ماخذ شعروا به ، ولكنهم دعوه تنقيحا .

وينتظم التنقيح للغة العربية بأربعة ادوار :

1 - كان بما قدمته قبيلة يعرب بن قطحان .

2 - كان بفضل اسماعيل لما اصهر الى جرحم .

3 - بمعونة قريش بالتدريج انتخابا من لغات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم في كل عام .

4 - كان بعمل علماء المصريين ، الكوفة، البصرة، اذ قصروا اختيارهم على لغة قريش وست قبائل من صميم العرب ، لم تحتك بغيرها ...

- التنقيح الجديد :

ان الظروف التي رافقت العربي بعد هجرته من جزيرته ، وبعد مواقف اللغويين الذين خرجوا مما كان يقصد من لفته، في هذين السببين يكمن مرض العربية الذي قصر بها مطالب العصر ، ناهيك عن مطالب المستقبل ولا شفاء لها الا بمعاودة الدرس مرة ثانية وتنقيحها تنقيحا جديدا لا يخرج عليها بالاساس ولا يقصر بها عن مطالب العصر ، وتطور المستقبل . ولا بأس بتسمية ما نحاوله تنقيحا كان يكشف وحده حقيقة الماضي وينير طريق المستقبل ومن ثمة أصبح ضروريا أن نقول ما هي الاهداف الاساسية التي تلخص التنقيح الجديد .

أهداف التنقيح الجديد :

ان من أهداف التنقيح الجديد ان :

1 - نحذف السماع من اللغة العربية الا بالمعنى الذي سنقرره فيما يلي : وهذا يعني ان نخلص العربية من هوائق الفوضى في افعالها ونقرها على باب واحد هو باب ضرب يضرب : وفاقا لما اوضحناه فيما قبل .

كذلك يجب ان نأخذ بعين الاعتبار بان التنقيح يجب ان يجارى معقول العربي في لغته ، ان في قواعد الأهلل أو في كل ما يتفرع من بحث الأفعال : ثلاثية وغير ثلاثية من اشتقاق وغيره ...

2 - يجب ان يسمح بصوغ موازين الثلاثي كان ، وكذلك الرباعي وموازينه ، لان التزايد المستمر في اللغات السامية يخضع لقانون الاشتقاق أي الموازين أو قل التحرك من الداخل ، لان العربية غنية في موازينها التي تبلغ الثلاثمائة للثلاثي الواحد ، كما اعطانا اياها سيبويه في كتابه النحو الضخم .

3 - تخصيص هذه الموازين مفردة أو مجموعة بدلالات قارة ثابتة لا تختلف على اختلاف المواد، ففعال يخص بما يدل على الزائدة الاجنبية auto وفعالية يخص بما يلاقي في الاجنبية ism وبذلك تسهل مهمة الوضع الجديد ويكون اكثر علمية ، كما رأينا في وجوه التخلف .

4 - توحيد المعاني في المادة الواحدة ... ونمضي بذلك جعل كل معاني المشتقات من مادة ما معاني لها سواء اكانت مجردة أم مزيدة ، مما يصحح معه اشتقاق المجرود من المزيد وبهذا تزيد الوحدات المادية للمادة الواحدة .

5 - الاستفادة من قاعدة الدوائر أو القاعدة الدائرية ، بوضع مواد جديدة لم يسبق للعرب انهم وضعوها أو وضعوها وأميتت ...

6 - الاستفادة من سنة الرباعي وما اليه بزيادة الحرف على الاخر بعد تحرير معاني الحروف الهجائية

7 - المعاقبة أو الإبدال .

ان الهدف الخامس والسادس والسابع هي ذات أهمية خطيرة في نتائجها .

ومن مجموع هذه الأهداف التي جاء بها تنقيحنا الجديد للغة العربية : وضع المعجم العربي بطريقة

تلبى متطلبات وحاجات العصر وتمد المستقبل بما يحتاج اليه ، وعلى تفصيل هذه الحاجة المزدوجة ، وايضاح الشكليات اللغوية من خط واملاء ، وبيان ومعان ، وعروض ، وبديع وصرف ، ونحو وسجع وغير ذلك من التابيعات ، كالأعجاز والتضمين ، والفك ، في حمل الإدغام للدلالة والتصحيح في موجه الامتثال لغرض ما .

مستقبل اللغة العربية

1 - داء العربية ودواؤها :

ان الفن كله قضية تعبير . والانسان الخالد كله قضية تعبير .

وقد قيل ان العربية لا تناول من شؤون الحياة ما نحسه ونشعر به ، وتفقدون البيان عنه بأي الفاظ من اية لغة فهي جديرة بان لا تكون الا في متحف يكتفي الناس منها بالنظر اليها . واني غير مطمئن الى ان الجماعة تقر فكرتها على هذا النحو ، ولكنها تعني معنى آخر هو ما سبق لنا ان ما تكمنه وهو ان الجدير بكلمة العربية هي : مجموعة الكلمات التي تضمنها المعاجم بالنقل من لسان العرب قبل ان يراه ما يراه ، وهذا الوضع الحرج الذي وضعوا فيه العربية ، الحق بها فيما ارى نتائج كاسواء ما تكون نتائج ومن أهمها :

1 - فصور العربية من تناول مقتضيات الفكر ، ولا ادل على هذا من عرض مجموعة كلمات الاصطلاح في اللغة العربية (المادة والجهة والموجهة) وقد ذكر في تعريفها ان كيفية النسبة في التضايب (مادة) واللفظ الدال عليها (جهة) والتضحية الواقع فيها هذا اللفظ (موجهة) .

2 - جمود اللفظ في معناه فلا تجد فيه شيئا من المرونة والبساطة كما يجب ان يكون ، بل تشعر بأنه ينكمش في طبيعته حتى يعود اشبه شيء بالحصاة مهما تقاذفتها السيول تبقى كما هي حصاة غير متحولة شكلا ولا اعتبارا ، ومن هنا اتهم بعض مستشرقة الاورنج ، اللفظ العربي بأنه (كليشة) لا اكثر وسمي العربية (لغة الاكليشات) .

- نشوء العامية : وقد يرى عجيبا ان يمد تشدد اللغويين للغة هذا التشدد جر الى نشوء العامية ، أو كان الاثر الفعال اليها ، ولكنني على ما يرى من عجيب اؤكد بصورة لا تقبل الريب وذلك لان الوقفة المترتبة

بهذا الشكل الذي لا يكفل حاجة الناس ولا يمير من
أفراضهم اليومية وهي لا تنفصل منهم بحال أو لا يثاني
لهم أن ينفصلوا بأى وجه ، جعل العامة يهجرون تباعا
هذه اللغة التي للخاصة رغم انها لغة التشريع
والإبتهالات ورغم أن العامة لا تهجر عادة اللغة التي
يتميز بها الخاصة إلا لاسباب ماسة لها حدثها ولها
منها .

فالانصراف الذي نلمسه في العامية قد كان اذن
لاسباب لا يحقر ابدا شأنها .

وكيف تحقر وقد سببت انصرافا عاما ، ولقد
أوخذ بأن هذه النتائج التي لرتبها اذا سلم بأن العامية
نجمت عن الانصراف المذكور ، ولم تكن لاسباب اكثر
وضوحا مثل الدخيل والامتزاج .

الا ان الاعراب ليس وحده فارقة اللغة وميزتها
وربما كان أقرب الى الظاهرة بمعناها الصحيح ،
والمفردات المتميزة المنتقاة ، التي تشمل عليها لغة
الخطاب .

— ان الفوارق في اللغة قد حملت الواضع على
اختصاصها الا اذا ان الفوارق هذه تلبدت على مد التطور
وغابت عن متناول الرواة ، وقد يقوى هذا الظن ان
تكون آخذة شكلا تقنيا ، اذا ما تفحصنا هذه الكلمة
نراها رجعت الى تقن العربية التي جاءت بمعنى الطبيعة
والمواقف من كل الجهات ، على منحنى موزون خذ مثلا ،
(فمفعيل) الذي يظهر ان أصله (فيعمل) (وفعليت)
الذي يرجع الى (فعل) و (فعلين) كذلك وهكذا مما
سنأتي على ابداء الراي به جميعه ، باعتماد المقارنة
التشاكلية ، وان كنت اقطع بانني مع هذا لا امثل تمام
معقول العربي فيها ولكنني اطمئن اليها على اي الاحوال .

الا ان الملاحظة التي لازمتنا في دراسة الموازين ،
ان العربية كانت تصدر عن لواحق تزداد على الوزن اذا
كان المراد الافادة من معنى اللاحقة زيادة على معناه ،
بدليل السوابق وما لها من المعنى المعتبر في العربية
كسابقة (است) في استعمل التي تفيد الطلب او
الصيرورة او المد . واظن بان هذا يقطع هرق النزاع
كما يقولون من انه كان في العربية سوابق ولواحق لم
تتوضح تماما عند قدامى اللغويين .

واننا لا نريد ان نفوس في اشياء نحن بغنى عنها
لاسباب وجاهية .

1 — انها خطوة واسعة تشبه الطفرة التي لا
تخلو من البمثرة والفوضى ، وليس ذلك من عدم
صدق النظر وانما من عدم سلامة التطبيق من وجه ،
ولندرة الامثال المحفوظة على هذه موازين العربية التي
تحتفظ باللواحق من وجه آخر .

2 — حرمة موازين العربية التي هي شخصية
اللغة ، ان يضاف اليها ما لم يكن منها ومعنى هذا
بعيدا عن الميزان ثم اضافتها على الوزن لتحصيل
المعنى المطلوب يؤدي الى تزايد كبير في الموازين
الجديدة على اشكال لم تعرفها العربية المريقة ، وان
كانت ظواهر الدرس تقتضي بان العربي كان يعتمد
لواحق بعينها للدلالات بعينها ، ومن يشك في هذا اذا
تناولنا بعينين عن تشبيه الدهشة من استنفار هابت
مثل فعلوت ، وفعلوت ، وتفعلوت ، وفعلان ، فلم
وفعلين ، وفعلن ، وفعليت .

وانما خصصت هذه الموازين بالذكر الخاص لانه
يظهر فيها صورة قاطمة للتردد في أن العربية كانت
خاضعة لما يدعونه باللواحق في مذهب زيادتها ، ولكن
تشدبت هذه اللواحق حتى عادت وهي جزء من الوزن
لا تنفصل عنه وكان هذا بفعل الصقل اللغوي المستمر .

ان هذه الموازين هي اصطناع للمربية بخلاف ما
اذا كان التفريع على مقتضى ما حفظ من الموازين فقط
فانه يكون في فايته اشتقاقا متوسعا . وقد تدرك
فرقا واضحا بينهما وان كنت اهود فأقرر بان ظواهر
الدرس الذي اخذت بأسبابه على الموازين يعطي هذا
وانه مذهب العرب ، ودليله ان لاحق (وت) لم
تختص بوزن ما ، له طابع يميزه كما رأيت في مفعولت ،
وتفعلوت ، ولكنه كان مع ذلك خاضعا لشرروط من
أهمها :

1 — ان لا تزيد الكلمة باللاحقة على اكثر العدد
الذي تكون منه كلمة في العربية . ان لاجتمع فيها
لاحقتان (كفعلان) مثلا فلا يجيء منه (فعلائين)
(وكفمفعيل) لا يجيء منه فمفعيلين) وهكذا من مثل
هذه الانماط .

من الظاهر بان اللاحقة تعتبر في اكثر من
حرف ، فكل ما كانت الزيادة فيه حرفا فقط كان وزنا
أصليا يمكن أن تسيره اللاحقة . وتنضاف عليه ونحن
رغم انا نظن بانه مذهب العرب على صورة مؤكدة
فلاخذ به فقط على شكلية المحافظة للعربية لا يقدر ان

مفعلاء : وهي تدل على الذي يوجد في المكان ويميز عنه حين نقول (مفعلاء) للذي يوجد في مكان العفن النتن ولا يكاد يتميز عنه مما يصلح ان يسمى به مكروب العفونة .
مفعل : وهو يدل على الآلة ، وكذلك مفعال وفعلية .

مفعلان : وهو يدل على اسباب الوصف فنقول للمكان الذي نستظل به الجلوس فيه في ضوء القمر مقمران .

وكذلك مشمسان لحمام الشمس ، ويدل ايضا على مضاعفة خصوصية (مفعل) فنقول (منظران) للمجهر المضاعف ...

وهناك زيادة اخرى الا وهي زيادة النون .

فنهال : فنهال : فنعلى ، فنعلاء ، فنعلال ، فنعنلوه ، فنعنل ، فنعنلة ، فنعنل .

الزيادة بالسواو .

هفعولة : وتدل على اشارة الوصف بحيث ينتسب الى كل جزء على انفراد اذ نقول (هرمول) للارض التي تشيع الرمال ، في كل مكان من انحاءها ، ونقول كذلك هركولة ، ولقد اتى في هذا المعنى عند الشاعر الجاهلي الامشي ، بقوله :

هركولة فسق درم مرافقهـ

تمشي الهويئا كما يمشي الوجي الوجلي

وهذا في وصف امرأة في أحد ابائته الشهيرة في وصف النساء ، فهناك كلمة هر كولة في المعنى المناسب .

فهركولة اذن هي المرأة السمينة ذات الارداق

— وهناك الزيادة لبعض الافعال من مثل :

فموال ، فموال ، فموال ، فموال ، فموال ، فموال .

الاوزان الكيماوية

فعليل ، وهو يعني في علم الكيمياء الاوكسيجين ، الذي يعرف في اللغة العربية بكلمة اكسيد . قبل

يعطينا الموازين المحفوظة مغنية من احياء اللواحق والاشتقاق فيها .

اما اذا ما تأملنا في لائحة الافعال فنرى .

فعل : انه يختص بالدلالة على الاتصاف بوحدة المادة نقول (رنج) للشيء فيه الغلق .

فعلل : وهو يختص بالدلالة على ما تعددت فيه الوحدات من الوصف نقول (زبدد) للمتعدد الزبد .

فعملاء : وخصوصية الدلالة على المكان الذي يوجد فيه الشيء وعلى معنى التميز وعلى تعدد الشيء في غير انفصال ، نقول حرجاء لمكان الغابات الكثيرة وصنعاء للمكان الذي تكثر فيه المصانع .

فعلان : وهو يختص بالدلالة على تكامل الوصف في الشيء تكاملا من كل الجهات نقول (رونان) أي صوت متكامل وآلة ذات روناق .

فعلت : وهذا الفعل يختص على سرعة التاثر او الانفصال وعلى سرعة الاحتراق نقول (عصبت) لتأثر الاعصاب السريع .

فعلن : ويقال هذا النفوذ الوصف الى غاية الباطن ومن ثم يوضع منه لظواهر الباطن ، نقول (نفسن) للرجل المختص بالاعمال النفسية كالممنوم المختطبي .

وهناك ضروب شتى من انواع الفعل يتعذر علينا ان نوردنا هنا .

وهناك الزيادة بالتاء ، مثل :

تفعال : وهو يتم على تجسيم المعنى ، مثل تمثال اي صورة شاخصة نقول (تظلل) للظل يتجسم فيصير صورة .

وتفعل : وهذا يدل على المتفعل من الوصف باسباب مشتركة من نفسه ومن الغير نقول (تنور) للحشرة التي تضيء في الليل .

— وكذلك الزيادة بالميم :

مفامل : وتدل على المنصف بالمفاعلة بين منفصلين نقول (مداور) للذي يدبر شيئا آخر في حركة دورانه كما في الدواليب المتعاشقة .

الاسم المتزج ، ولكن للدلالة عليه يضاف اليه التساء المتحركة وبصير الوزن فعلية .

فعليت : وتعني في علم الكيمياء الهيدروجين وقد يحوي خواص الاسيد الحقيقي ويميز باسم ادراسيد ويسمونها في الاجنبية بزيادة اسيد ، على الاسم المتحد مثل (اسيد كلوريدريك)

الاوزان العديسة :

فعل وهو مخصوص للدلالة على الاحادي نقول فقد لما فيه عقدة واحدة الى عشرة .

فعلان : وهو يدل على المشوى نقول (فعدان) لما فيه المائة الى الالف مقدة .

مفعل : خصوصيته الدلالة على الريح نقول (مشهر) اى ربح شهر يقال (مجلة مشهوية) للمجلة الاسبوعية ولكنها لا تستعمل لانها صعبة اللفظ .

وهكذا تكون قد انتهينا من اعداد بعض الافعال والاوزان ، التي كانت داء في العربية ومرضنا كذلك الدواء لذلك وهو الذي يعالج الامراض التي رافقت اللغة العربية طوال مهبها .

اللغة العربية غاية لا وسيلة :

ان ما نبوح به في هذا القسم من الفصل الخامس هو ان اللغة العربية الفاظ يعبر بها كل قوم عن افراضهم ، وهما يحتاجون اليه ، فاذن هي غاية كي يجعلها دون الغرض تتناوله للكشف منه ، ومشاركته عندما نتجه بنظرنا الى اللغة في دورها النشوئي، واما هي بعده فمجموعة من الانكار ، والتقاليد، والمواطف، والاحاسيس ، والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات تنتظمها الالفاظ انتظاما أصبح منها كما يكون الشيء من الطبيعة .

اذن أصبح للالفاظ وجود معنوي على مقدارها لا تزال دونه في الاعتبارات كما لا يقع دونها كذلك .

والزيادة التي يتاتي لنا ان نصفها بالطفيلية لا يسهل تعليلها اذا كانت اللغة وسيلة ، فقط تكيفها المعاني المتجددة على مقاديرها ، وانما تكون اقرب قصدا من التعليل حينما نجعل للالفاظ وجودها اشخاص او الشاهد قيمة معنوية ، وبعبارة اخرى كيانا معنويا ، تقصه افكارنا ، وقصته هذه تتوسل به

الى الكشف عنها بالقياس على كون الالفاظ ، وهذا رأى لا نفرده به قيل من قبل ، والعربية هي غاية دون الابعاد والامتدادات ، وان كان بالنظر الى ما يفيدنا منها تكون غاية بملحظ من الوسيلة ، واكثر الغايات يكون لها هذا النصاب من الملحظ فهي غايات غير استقلالية يفرض فيها التعاون مما يتاتي لنا تسميتها بالغاية المطاوعة ، والمقصود من هذا التنحي في اسلوب الشرح بيان انه دلالة الالفاظ على المعاني المتجددة لا المستقرة دلالة مقايسة فلذا اردنا ان نؤدي صورة ما فانما نؤديها بضرب من المقايسة المحضبة بين ما هو حاصل في خيالنا وبين معاني الالفاظ المستقرة .

فكان لالفاظ اللغة اية لغة ، التي تستخدم للتعبير عن مختلف الصور زوائد احيانا تفرغ على الصورة ما يزيد في معناها بحيث لا يظن انها كانت كذلك على كمالها في خيال الاديب او العالم .

وهذا غير المجال التعبيري الذي يتاثر كل من يتدوق البيان لان ما نعني به نقص وزيادة على الصورة لا اشراق الديباجة ورونة الالفاظ ورصاعة التعبير .

وهذا موضوع على ما فيه من جلاء غموضا ، ولذا عبر وهو محل للاخذ والرد بين ادباء الجيل . ان في الادب لا بل في محيط البيان العربي عموما ، وجد يربي وحرى بكل عربي ، ان ينطوي على حفيظة مفرضة من هذا النوع واسميها ، مفرضة لاني ابتغيها غير قابلة للتفهم ابدا ولا تسمح باية مناقشة دون رعاية اساسها .

ولهذا نقصد ان نهدم بتحقيق اللغة غاية كما يكون الحساب ، والهندسة ، وما اليهما من انواع الرياضيات والعلوم ، وقرر مالم يكن في معرفة الكثيرين الذين يفرعون اذا ما قالوا العربية قالوها عن عبث .

وان دلالة مفردات اللغة على المعاني المتجددة دلالة مقايسة وموازنه ، والا لو دلت بالنفس لكان لها وجوات متعددة بتعدد الاشخاص اللاهين .

لنقول شيئا عن بيان ابيات الشعر لندل فيها على ما يجدر بالناقد البصير ان يميزه ، أهني به تحقيق الفرق بين اشراق اللفظ وبين زائدة اللفظ وينبني عليه في درس الادب والاديب كثير من التصحيح فقد قال تيس بن الملوح في ليلي :

بعيشك هل ضمنت اليك ليلي
قبيل الصبح او قبلت فاهها

هذا داء العربية تنفثه جهات خارجية من طبيعتها .

اما دواؤها فتخليصا من التزوير عليها ، الا زورا عما تريد هي وصما كان يريد اصحابها منها .

هذا الدواء الشافي لقد افصحنا عنه وهو حذف السماع من اللفظة وتحكيم القياس فمفنى العربية انما يجيبها من غنى قواعدها وانتظامها لا من اي شيء آخر وفي تحديد معاني الموازين وصوغها من اي ثلاثي كان وكذلك موازين الرباعي وفي توحيد معاني المشتقات جميعا للمادة ومن التنسيق لشكلياتها المختلفة ، الخارجية كالخط والاملاء ، والداخلية كالبيان والمعاني والمروض والصرف والنحو .

في الفصل الاول كان نشوء اللغة والتطور في اللهجة واللفظة . وادراك المعقول العربي من خلال ادوارها النشوية ويرجع هذا التأخير في اللفظة لسببين :

خروج العربي من جزيرته .

وتزمت اللغويين القدامى وتمسكهم بالسماع ، ومتابعة اللغويين المحدثين لهم رغم ضرورات العصر الجديدة . . .

ولقد كانت اهداف التنقيح الجديد الذي اوردناه في احدي الفصول بالسير بالعربية بمدد توقفها ، ولدفعها نحو المستقبل اللامحدود لتكون خالدة بين اسيائه الباقية .

وفي سبيل ذلك المستقبل المنشود لفتنا المزيدة وشعبها العظيم تنادي اخوة لنا في المغرب الى اخراج مثل هذه الدراسات والابحاث .

وفي هذا السبيل افتتم الفرصة لابداء بعض الملاحظات .

1 - ضرورة اعتماد الفكرة التطورية لانها وحدها الفكرة الجدية والحقيقية التي بها تزال مشكلات حياتنا اللغوية .

2 - الانطلاق بثورة صحيحة في اللفظة العربية وكتابة قواعدها واساليب تدريسها وتفجير المزيد من طاقاتها اللغوية .

3 - نتمنى ونحلم ، وهاتان قدرتان معجزتان ، فاذا ترجمنا عملا نحقق كل تطور وابداع .

ونتمنى على حكومات ومجامع الدول العربية ان تسير بالعربية وتمد يد المساعدة الى اللغويين ونحلم بذلك .

وهل رفت عليك نروع ليلى
رثيف الاقحوانة فى مداها
ويكاد يكون هذا الجزء عاما على لسان الشعراء
العرب جميعا .

وهو لا يريد فى اعتبارهم على (بريك) او لمعرك وما يتبعهما وهذا ما يدلنا على ان قيس كان يقول هذه العبارات ليس اكثر من الحنف والتاكيد . وهذا ما يسمى مزاحمة تعبيراً فى محل تعبير .

كل هذا من زائدة الالفاظ وذلك حين نرى بان المجنون يرى العيب فى ظل التي يهوى ويحب سعادة دونها السعادات الاخرى . وهو من نشدانها بقي يبيها ابدا فى انشودة الحزن المرة . بهذا النظر الطالع للقس حين يستفهمه من شكل من الاشكال تلك السعادة ولون ثرى من الوانها مرسوما بضمه السحر وقبلة فى عين الصباح .

ومهما يكن من امر فان غاية كل لغوي خدمة العربية واغناؤها والخروج بها من قوتتها الضيقة فاذا لم تكن للفرد غاية تامة صحيحة فلن يكون للجماعة فكر تام صحيح ، وفرض انسان بدون لغة معناه فرض انسان بدون فكر .

وبهذا نقدر ان نجد القول بان اللغة العربية هي لغة غاية لا لغة وسيلة .

والخلاصة ان قصة العربية هي قصة الحرية ، وان الفكر العربي مفلول بعبوديات كثيرة اهمها عبودية العادة والتاريخ ويتجلى هذا الامر فى الجانب اللغوي منها .

فاللغة هي بيت الكائن الحي ومرآة فكره ، بل قد تكون اللغة هي وحدها الوسيلة للابداع والخلق ومرادف الانسان ، فالانسان لغة لا انسان بلا لغة ، واللغة غاية لا وسيلة ، منذ كان الانسان نهاية سخر له كل شيء .

من هنا كان الاهتمام بالعربية اهتماما بالانسان العربي ، ليست كما يزعمون اصعب اللغات ان لم تكن اسهلها وامرنا والينها ، هي اصلح من اثربها من اللغات للحياة والتطور والنمو والترقي .

كل ذلك اثبت الفوضى فى تاريخنا واستجلاء بداية العربية ثم مسيرتها فى ادوار رقيها وحلقات تطورها حتى خروج اصحابها من جزيرتهم وتوقفها المفاجيء قبل اتمام دورها التطورية ، مما حملها بعض الفلاقي المتخلفة فى الافعال والمصادر والجموع ، والاوزان ومما زاد فى عمر هذه المتخلفات تزمت اللغويين القدامى ، ومتابعة المحدثين لهم .